التضافر الأسلوبي

بين ميكائيل ريفاتير وعبد السلام المسدي

حسين تروش، جامعة فرحات عباس، سطيف

❖❖❖❖❖

ملخص

تعد الأسلوبية، أو علم الأسلوب، من أهم مفاتيح النص الأدبي في النقد المعاصر، ووسيلة فعّالة في مقاربة النصوص من خلال الوسائل الإجرائية المتنوعة التي تمنحها للقارئ، والتي تسمح له بدخول عالم النص المغلق من مداخل عديدة تثمر في كل مقاربة إبداعا نقديا يوازي في أهميته الإبداع الأدبي. والتضافر الأسلوبي هو أحد هذه العناصر الإجرائية التي منحت الناقد الأسلوبي معولا جديدا من معاول التفكيك والبناء الأسلوبيين في هيكل النص، وذلك من خلال تشاكل مجموعة من العناصر التحليلية التي تنطلق بداية من القارئ النموذجي، الذي تمنح ردود أفعاله الباحث الأسلوبي معيارا نقديا يمكنه من كشف الظواهر والسمات الأسلوبية البارزة والانطلاق منها إلى أعماق النص

Résumé

La stylistique, ou la science du style, est l'une des plus importantes clés du texte littéraire dans la critique moderne, et un outil efficace dans les approches des textes a partir de ces éléments expérimentaux qui aident le lecteur a pénétrer dans le monde fermé du texte. Cette approche produit une création critique qui égale dans sa valeur avec la création littéraire. La convergence stylistique est l'un de ces outils expérimentaux qui permettent de décoder la

structure du texte, en se basant sur les éléments analytiques qui commencent premièrement par l'archi-lecteur qui permet au critiques stylistiques, par ces reflets d'acte, de découvrir les plus importants phénomènes dans le texte.

❖❖❖❖❖

مقدمة :

تعد الأسلوبية من المناهج النقدية المعاصرة التي فتحت عوالم النص المغلق، ففكت بعض شفراته، وفضت بعض دلالاته، فكانت واسطة بين القارئ والنص تعتمد ردود فعل الأول لفهم الثاني، وتقيس درجة تأثير الثاني في الأول، خالقة عالما من المتعة الفنية. وبتعدد اتجاهات هذا المنهج وتنوع مدارسه، تعددت الوسائل الإجرائية التي تسمح بتحقيق هذا التواصل بين القارئ والنص وبالتالي تحقيق اللذة والمتعة الفنية.

والتضافر الأسلوبي هو أحد هذه الوسائل التي سمحت للقارئ المتمرس باختراق النص عبر استقراء البنى اللغوية وتأويلها وفق منظور محدد. ووضع تحديد ابستمولوجي لهذا المصطلح، وهذه الوسيلة الإجرائية التطبيقية يقوم على دراسات باحثين كبيرين في النقد الأسلوبي هما ميكائيل ريفاتير وعبد السلام المسدي، وكل منهما يمثل رائدا من رواد علم الأسلوب، الأول في المدرسة الأسلوبية

البنيوية والثاني في المدرسة النقدية الحداثية العربية.

وقد اعتمدت على كتاب "معايير التحليل الأسلوبي" لميكائيل ريفاتير، وكتابي "النقد والحداثة " و"الأدب وخطاب النقد" لعبد السلام المسدي، والجدير بالذكر أن دراسات المسدي لم تكن ترجمة وتعريبا لأعمال ريفاتير فيما يخص مصطلح التضافر بقدر ما كانت تكملة لجوانب النقص في تحديد مفهومه.

ولكن فهم التضافر الأسلوبي مصطلحا ووسيلة إجرائية لا يتم إلاّ باستقراء دراسات الباحثين معا. لذلك كان عنوان هذا المقال " التضافر الأسلوبي بين ميكائيل ريفاتير وعبد السلام المسدي " رغبة في تحديد أوسع وأدق لهذا الإجراء الأسلوبي.

كما لاحظت أن وضع التضافر الأسلوبي في المقابل مع أنماط التحليل الأسلوبي ومصطلحاته الأخرى يساهم في توضيحه أكثر، لذلك قارنت بينه وبين أشكال التحليل الأسلوبي كما حددها عبد السلام المسدي وبيته وبين المصطلحات الإجرائية التي شاع استعمالها في التحليل الأسلوبي.

1- مفهوم التضافر الأسلوبي بين ميكائيل ريفاتير وعبد السلام المسدي:

تتضافر الأسلوبية، أو علم الأسلوب، مع علوم اللغة الأخرى رغم أوجه الاختلاف التي قد تبرز بينها، على استكشاف خبايا النص واستيضاح غموضه، وإنارة الجوانب المظلمة القابعة في أعماق بناه اللغوية. والناقد الأسلوبي هو كالمستكشف يغوص في عالم لا يعلم عنه إلا القليل، عالم متشابك،

متنافر، متطابق، متباعد، يبوح حينا، ويصمت أحيانا أخرى، وهو لا يدخل عالم النص إلا وهو يحمل من علوم اللغة ما يمكّنه من الفهم والتحليل من عناصر إجرائية لسانية ولغوية وبلاغية.

وهذا التضافر الذي نستشفه في التقاء الأسلوبية بعلوم اللغة الأخرى، ينتج تعالقا منهجيا يمكن اعتباره «تصورا نظريا شموليا وعلميا، ثم الانطلاق من هذا التصور النظري إلى الجانب التطبيقي.» [1]

بمعنى أن الناقد الأسلوبي وهو يدخل عالم النص الإبداعي لابد أن يكون مزودا بالمعارف التي تتيح له فهم المرسلة اللغوية الإبداعية، وبالاستعانة بها يمكنه وضع منهج تحليلي نابع من النص أولا؛ أي أن العملية النقدية هي التي تحدد الوسائل المناسبة لتحليل النص، بحيث يصبح العمل النقدي نتاجا للمعارف المتضافرة والنص الإبداعي، «ففيما مضى كان التضافر قائما على الناقد، مقيدا به، منه يشع بعض الإشعاع على النقد، أما التحول المعرفي الحديث فيقتضي أن يكون التضافر قائما في النقد قبل قيامه في الناقد وأن يكون النقد هو المتقيد به وأن يكون الإشعاع تبعا لذلك صادرا عن التقاء المعارف.» [2]

والتضافر في اللغة هو التعاون والتعاضد والتماسك، مع العلم أن بين هذه المترادفات اختلافات ضمنية كثيرة ولكن أوجه التقاطع أكثر، وهي تلتقي في معنى التركيب الذي يجمع أجزاء الشيء بعضها إلى بعض. وهو المقابل للفظة الفرنسية (Convergence) .

أما في الاصطلاح فهو من منتجات النقد الأسلوبي المعاصر، الذي يحاول أن يحدد منهجا علميا دقيقا

لنقد النصوص الإبداعية. وإذا كانت الأسلوبية تتعامل مع النص وسياقه الداخلي، دون الاعتماد على السياق الخارجي المحيط، وإذا كان هذا التعامل مع النص هو تعامل مع كائن حي ينبض بالحياة ذاتيا دون إمداد خارجي، فلا بد أن يكون كلاّ تجمعت فيه أجزاء كثيرة تؤدي وظائفها الذاتية ولكنها تخدم جسد النص الذي تنتضد فيه ومن منطق الأشياء أن تتضافر هذه الجزئيات لتشكيل كلٍّ متكاملٍ، والتضافر الأسلوبي هو منهج التفكيك والتركيب، منهج ينسج العمل النقدي من جزئيات النص. فهو «بهذا المعنى الجديد نسق منهجي ذو قواعد في أساسياته.» [3]

والتضافر عند ميكائيل ريفاتير «هو الإركام لكثير من الإجراءات الأسلوبية المستقلة في نقطة واحدة معطاة، بحيث يكون كل واحد منها معبرا في ذاته بمفرده وكل إجراء أسلوبي مع المجموع يضيف تعبيريته إلى تعبيرية الإجراءات الأسلوبية الأخرى. وعلى العموم فتأثيرات هذه الإجراءات الأسلوبية تتضافر حول تقوية مثيرة للانتباه بطريقة متميزة.»[4] ويكون التراكم الأسلوبي لمجموع الإجراءات الأسلوبية المستقلة منتظما، بحيث يخلق في النص الانتظام التعبيري حتى ولو تشكل من العناصر غير المنتظمة، لأن الرابط بينها هو التداخل. وهذا ما وضحه عبد السلام المسدي عند تعريفه التضافر الأسلوبي فهو عنده: «أن تنتظم العناصر انتظاما مخصوصا يسمح باستكشافها طبق معايير مختلفة بحيث كلما تنوعت مقاييس الاستكشاف، حافظت العناصر على مبدأ التداخل.»[5]

ومن خلال التعريفين السابقين تتضح ثلاثة مبادئ :فالمبدأ الأول يقتضي أن النص مجموعة من الإجراءات الأسلوبية المتراكمة أو العناصر

المنتظمة. والمبدأ الثاني هو أن تعبيرية الإجراءات والعناصر مترابطة فيما بينها لتشكيل تعبيرية النص. أما المبدأ الثالث فهو أن العلاقة الرابطة بين هذه الإجراءات والعناصر هي دائما علاقة التداخل. وهذه المبادئ تجعل من النص كلا متكاملا على الرغم من استقلالية عناصره بذاتها، فيصبح هذا الكل المتضافر سياقا نصيا جديدا في مقابل السياقات اللسانية وسياقات الأثر التي أثبت النقد المعاصر عدم جدواها في تحليل النصوص.

2ـ التضافر بين القارئ النموذجي والسياق عند ميكائيل ريفاتير :

الكشف عن التضافر الأسلوبي في النصوص يحتاج إلى القارئ النموذجي(Archi Lecteur) الذي اقترحه ريفاتير، وهو «مجموع القراءات، إنّه أداة لإظهار منبهات نص ما»[6] أي أنه مجموعة من ردود الأفعال التي يبديها القارئ إزاء نص ما، أو إزاء أجزاء معينة من هذا النص لفتت انتباهه انطلاقا من البنية اللغوية، فهو أي «القارئ النموذجي ليس معنيا إلا بما يثير ردود الأفعال تلك، أي بمركبات النص» [7] وهي النماذج اللسانية النصية المكونة لسياق النص.

وأهمية القارئ النموذجي تكمن في دوره في إدراك الخاصية النوعية للأسلوب وتكمن كذلك في «اعتباره وسيلة استكشافية مادام إدراكه يفيد إنتاج الظاهرة الخاضعة للملاحظة ...و يضع المحلل في موقع المسنن نفسه دون أن تصيبه ذاتية هذا الأخير بالعدوى.» [8] فتصبح للمحلل الأسلوبي القدرة على اكتشاف سنن النص، وفك شفرته الخفية، ووصفها وصفا علميا بعيدا عن الذاتية التي سيطرت على المؤلف أثناء الصياغة الإبداعية. ما أن القارئ

النموذجي «هو بديل عن القراءة الفردية التي يقوم بها باحث انطباعي من أجل حصر المؤشرات الأسلوبية في النص، إنه معيار موضوعي يمنع كل قراءة ذاتية»[9] والنتيجة أن الباحث الأسلوبي يصبح بفضل القارئ النموذجي بمنأى عن تأثير المؤلف وتأثير التحليل الانطباعي.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن معيار السياق عند ريفاتير قد عضد القارئ النموذجي بوصفه معيارا للتحليل الأسلوبي خلفا للمعيار اللساني الذي أثبت عدم قدرته على الكشف عن السمات الأسلوبية في النص. فالسياق الأسلوبي عند ريفاتير هو «نموذج لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع،» [10] مما يحدث تناقضا أسلوبيا يثير القاري.

وليس المقصود بالتناقض إحداث خلل في بنية النص « فالتناقضات الأسلوبية تولد بنية بالطريقة نفسها التي تولد بها هذه التعارضات الأخرى ذات النفع في اللغة، وتنجم عن مبدأ التناقض هذا إمكانية جعلنا نميز بين أسلوب شخصي ولغة أدبية.» [11]

وعليه يتحول السياق إلى المعيار الأساس الذي يعتمده المحلل الأسلوبي في تحليل النص اعتمادا على مبدأ الارتجاع (Retroaction) وهو التغييرات الارتجاعية التي يجريها القارئ على بعض وقائع الأسلوب التي تم تفكيكها أثناء التقدم في القراءة، [12] مما يغير التأويلات التي يطلقها مرحليا، أي كلما انتقل من مرحلة معينة في التحليل إلى مرحلة أخرى، غيّر المضمون الدلالي الذي كونه عن النص، وذلك بإعطاء تأويلات جديدة لعناصر تمّ تحليلها بالفعل.

فالسياق النصي يسمح باكتشاف الإجراء الأسلوبي المثير لانتباه القارئ النموذجي، وهذا الأخير يتحول بدوره إلى سياق جديد يكشف عن إجراءات جديدة:

السياق ⟵ الإجراء الأسلوبي

السياق

والتضافر الأسلوبي نابع من هذا السياق البعيد عن « السياق الذي يمثل كخط مستقيم موجه في اتجاه تعاقب العين التي تقرأ السطر. »[13] لأنه شبكي يرجع بالقارئ من العناصر المحللة إلى أي عنصر شاء في النص رابطا الدلالات بعضها ببعض.

ويفترض ريفاتير أن هذا التضافر له قوة إثارة الانتباه، ولذلك فهو معيار في متناول الباحث الأسلوبي يسمح بتواصل مباشر مع النص، وقد يمكنه من تصحيح هفوات القارئ النموذجي[14] وهذا ما يحدث تفاعلا بين عناصر عملية التواصل جميعا، ويخلق استمرارية بين القارئ العادي والقارئ النموذجي.

3 ـ التضافر بين التداخل والتراكب عند عبد السلام المسدي:

وبالإضافة إلى مصطلحي السياق الأسلوبي والارتجاع المتعلقين بالقارئ النموذجي عند ريفاتير نجد مصطلحي التداخل والتراكب عند المسدي. والتداخل هو أن « تتوارد الأجزاء في تواتر دوري بحيث يمتزج بعضها ببعض كل آخر فلا يعيد لك السياق صورة مطابقة لما ورد في السياق الذي قبله ولكنه يعيد لك منها ما يمزجه مع مكونات جديدة، فيحصل من المعاد ومن المستجد تركيب طارئ»،[15] لذلك يمكن اعتبار التداخل الأسلوبي بين العناصر

النصية، مبدأ أساسيا في التحليل الأسلوبي. وهذا التركيب الطارئ أوحى إلى المسدي بمصطلح آخر هو مصطلح التراكب وهو«أن يتوزع المجموع إلى كتل ترتصف فيها الأجزاء ارتصافا متناظرا تتقابل فيه الصور تقابلا متتاليا فيكون بين مستويات الأبنية اللغوية المكرسة إبداعيا تنضيد متآلف» [16]

فالتركيب هو التنضيد، وكما يكون بين المستويات اللغوية، يكون ـــ كذلك ـــ بين مفاصل النص وشرائحه المعنوية. والنتيجة أن التضافر عند ريفاتير وعند المسدي هو السياق النصي المكون من مجموع التناقضات الأسلوبية المرتجعة المتداخلة المتراكبة التي تثير القارئ «فتفرض أثر قطيعة يغير السياق، وهو ما يترتب عنه اختلاف جوهري بين القبول الجاري للسياق وبين السياق الأسلوبي.»[17]

فيصبح التضافر الأسلوبي هو «الإجراء الأسلوبي الذي نستطيع وصفه بيقين كإجراء واع، وحتى لو كان التضافر قد شكل مبدئيا بطريقة لا واعية أو كان عرضيا... فإنه يجسد مثالا عن الوعي الأقصى لاستعمال اللغة، كما يمثل أيضا دون شك، الشكل الأسلوبي الأكثر تعقيدا» [18] في صياغة النص الإبداعي. فالمحلل الأسلوبي لا يرضى بردود أفعال القارئ النموذجي كمعيار، ولا يرضى بالسياق المعطى كمعيار، بل يتواصل،كذلك، مع النص من خلال التضافر الأسلوبي، للوصول إلى السياق الأكثر تعقيدا وهو أسلوب النص. والشكل الآتي يمثل نظرة ريفاتير والمسدي للتضافر الأسلوبي:

النـــــــــص

↓

ردود فعل القارئ النموذجي (السمات التي تلفت الانتباه)

↓

السياق والارتجاع (العناصر اللسانية المقطوعة بعنصر غير متوقع)

↓

تداخل العناصر وتراكبها في نقطة معينة

↓

التضافر الأسلوبي

↓

النص (الشكل الأسلوبي الأكثر تعقيدا).

إن النص الإبداعي عالم لغوي زخم يمكن أن تلتقي فيه علوم اللغة جميعا، كما يمكن أن تلتقي فيه المعارف الخارجة عن اللغة، والتشكيل الإبداعي الذي يكوّن هذا العالم هو نتاج التضافر، فالنص هو عبارة عن جسم متكامل له أجزاء يتركب منها، وفهم الكل ينطلق عادة من فهم هذه الأجزاء وكيفية تشاكلها وانسجامها، واعتبار النص رسالة لغوية بين مرسل ومتقبل يفترض وجود سنن أو شفرة تجمع بين طرفي الرسالة ولكن هذا الافتراض ليس حتميا في اللغة الإبداعية كما هو الحال في النصوص الإبداعية القديمة في علاقتها بالقارئ المعاصر، لذلك « يمكن للمتضافرات بالفعل أن تكون عاملا أسلوبيا يؤمن استمرارية حياة النسق المسنن في النتاج الأدبي. »[19] وهذا يعني أن التضافر الأسلوبي يعطي النص الوسائل التي تسمح له بخلق سنن جديدة للتواصل مع القارئ في كل زمان ومكان.

وبما أن هذه السنن نابعة من النص ذاته فهي متعلقة بمستوياته اللغوية، وتحليل مستويات النص الإبداعي المتضافرة، يؤدي إلى التراكب فمن«خلال

تضافر الأصوات تتشكل الكلمات، ومن تضافر الكلمات تتشكل الجمل ومن تضافر الجمل تتشكل الصور، لأن النص الإبداعي نص لغوي في المقام الأول يقوم على العلاقات التجاورية بين بنى النص.»[20]

ولا يقف المحلل الأسلوبي عند المستويات اللغوية المتجاورة فقط،بل يبحث في تداخلها ويؤدي التضافر والتداخل بين كثير من السمات والعناصر الأسلوبية إلى كلية متكاملة، هذه الكلية التي تؤدي «إلى وحدة الأسلوب، تلك الوحدة التي تتمثل أقرب الطرق للوصول إليها في تحليل هذا التضافر والتداخل بين العناصر الكثيرة المتفرقة.» [21]

ويكون الباحث الأسلوبي عند دمجه لنتائج كل من الرؤية التراكبية والرؤية التداخلية «قد رصد العلاقة بين القوى المحركة للإبداع وأدق الجزئيات المكونة للنص،ولكن هذه الجزئيات تظل في حركة التفاف وتضافر في اتجاه تصاعدي حتى يصل التركيب الكلي إلى أقصى درجاته.» [22]

ولا يتم ذلك إلا بتحليل النص الشعري من خلال مستوياته المتعددة المتمثلة في الصوت والكلمة والجملة والصورة إذ يتم كشف أبعادها المختلفة فتصبح وحدات النص أشبه بالنسيج الشبكي الذي تتلاحم عناصره وأجزاؤه لتشكل النص الشعري الكلي، ويتضح من خلال هذا التحليل مدى أهمية أصغر وحدة في كشف جوانب النص إذ إنّ غيابها سيحدث ثقبا في هيكل النسيج الشبكي للنص.

أما عن دلالة النص فإنها تتم عبر الكشف عما في النص وأبعاده، فكل « وحدة دلالية تسلم للدلالة التالية لها مباشرة، حتى نصل إلى الدلالة

الكلية التي يطرحها النص الشعري من خلال سياقاته اللغوية المتلاحمة.»[23]

وقيمة النص الحقيقية هي التي تنبع من العناصر المتضافرة جميعا، بحيث تتشابك الدلالات **وفق نظام التراكب والتداخل**، فيمتد جزء من مستوى معين، داخل جزء من المستوى الذي يليه ليمده **بالأداة التي تحقق الحفاظ على الامتداد الدلالي للنص الإبداعي**، وتتحقق بذلك الوحدة النصية.

4- التضافر بين أنماط التحليل الأسلوبي ومصطلحاته:

التضافر، كما يشير عبد السلام المسدي، هو القائم كرد فعل على أساليب التحليل الأسلوبي السائدة **و**التي ينتقدها **و**يجمعها في نمطين أساسيين يسمى الأول أسلوبية التحليل الأصغر، **و**« هي أسلوبية السياق لأنها تأخذ بأطراف البنى المكونة للنص الإبداعي من الصوتية، **و**المقطعية، **و**التركيبية الدلالية،» [24] ثم تقوم بالتعبير عن السمة الإبداعية في آنها **و**موضعها دون ربطها ببعضها، ودون فهم للعلاقات الجامعة التي جعلت منها سياقا نصيا متكاملا، بحيث يفصل الباحث بين مستويات النص ويشتت وحدته.

أما النمط الثاني فهو أسلوبية التحليل الأكبر أو أسلوبية الأثر و«يعتمد على رصد الظواهر الأسلوبية فينطلق الشرح من الوقائع اللغوية لربطها بزمام موحد هو القالب الأسلوبي الضا**بط** لسماتها.» [25] وذلك يعني **أن أثر النص على القارئ**، مضافا إليه الظواهر الأسلوبية البارزة، هي وحدها وسائل التحليل، والقصور في هذه النظرة النقدية يأتي من العجز عن التعبير عن الأثر، وعدم الاتفاق على ظواهـر **محـددة**.

والنتيجة التي يخرج بها عبد السلام المسدي، هي أن «القصور الجذري الذي يوصم به كلاهما منبعه القفز من حقل اختباري شديد الضيق، وهو حقل السياق، إلى حقل استكشافي نشيط في إشعاعه هو حقل الأثر.»[26]

وعليه فالاعتماد على الظواهر والسمات الأسلوبية لا يحقق ما يحققه التضافر الأسلوبي كما سيظهر من خلال مقارنة هذه المصطلحات بمصطلح التضافر. والتضافر الأسلوبي يحتل مكانة هامة في النقد المعاصر، إذ أصبح بعناصره الإجرائية يزاحم المصطلحات الشائعة، لذلك ارتأيت وجوب وضع مقارنة نقدية بين هذه المصطلحات ومصطلح التضافر. ولعل أهم هذه المصطلحات التطبيقية هي تلك الباحثة عن السمات الأسلوبية في النص الإبداعي وهي «خصائص تتفاعل، لكنها ليست متجاورة، أو ليس شرطا أن تكون متجاورة.» [27] ووسيلة التعرف إليها مفاجأة القارئ وإدهاشه شريطة ألا تتواتر في النص «فتواترها ينقص من طاقتها التأثيرية فإذا تكررت السمة الأسلوبية باطراد تشبع النص فلم يعد يطيق إبرازها كعلامة مميزة.» [28]

وهي المرتبطة بأسلوبية السياق التي انتقدها المسدي، ولعل خير نقد يوجه إلى هذه الرؤية النقدية ما ذهب إليه محمد شكري عياد فيما نقله عن شارل بالي «فهناك سمات أسلوبية معينة قوية التأثير ولكننا نستطيع أن نهملها في حين أن هناك سمات أخرى لا يلتفت إليها مع أنها سمات مميزة حقا» [29]، وعليه لا يمكن الاعتماد على السمات البارزة أساسا وحيدا للتحليل لأن التأثير الأسلوبي للسمات الخفية، يكون له في غالبية النصوص، فاعلية تفوق فاعلية السمات البارزة،

كما أن السمات قد تقتصر على جزء من النص الإبداعي، ولا تمتد إلى كامل النص، فتكون النتائج المعتمدة عليها ناقصة وسطحية لا تلج إلى أعماق النص.

ومن المصطلحات الأسلوبية أيضا دراسة الظواهر الأسلوبية، ومفهوم الظاهرة في علم الأسلوب يشير إلى «الملمح التعبيري البارز الذي يؤدي وظيفة دلالية تفوق مجرد دوره اللغوي، ويقتضي هذا أن يكون للملمح نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره في المستوى والموقف.» [30] وهي المرتبطة بأسلوبية الأثر. والنقد الوجه إليها يكمن في صعوبة الكشف عن الظواهر التي تؤثر في القارئ، كما أن النصوص التي لا تحوي ظواهر بارزة تبقى مهملة، رغم غناها اللغوي.

وثالث هذه المصطلحات الأسلوبية التي اعتمدها البحث الأسلوبي المعاصر قاعدة انطلاق في التحليل والبحث ما يطلقون عليه "المؤشرات الأسلوبية" وتعرف بأنها «تلك العناصر اللغوية التي تظهر فقط على مجموعة سياقية محددة بنسب متفاوتة في معدلات كثرة وقلة من حال إلى أخرى.»[31]

والمؤشرات الأسلوبية عناصر لغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بسياق معين، فهي دائمة الورود فيه مما يجعل العناصر اللغوية الأقل ورودا لا دلالة لها أو محايدة، والحياد بهذا المعنى، يعني رفض الباحث الأسلوبي إشراك هذه العناصر اللغوية غير المتواترة بنسب كبيرة في التحليل، قد تكون مدخلا مهما أثناء التحليل.

ومن خلال هذا العرض الموجز لمصطلحات التحليل الأسلوبي، يظهر بعض العجز في قدرتها على الوصول بالقارئ إلى غاية النص، بينما يمثل التضافر

الأسلوبي جبر الكسر في هذه التحاليل إذ أنه يعتمد على الظواهر والسمات والمؤشرات الأسلوبية جميعا، ويتعداها إلى تفكيك البنى اللغوية دون استثناء ودون حياد، لأن قناعة التضافر الأسلوبي، تقوم على رؤية النص كلا تتعاون فيه الأجزاء على تشكيل نسق واحد.

خاتمة:

يظهر التضافر الأسلوبي عند ميكائيل ريفاتير وعبد السلام المسدي جامعا بين النص الأدبي في شكله الأول قبل عملية القراءة، والنص في شكله الأسلوبي الأكثر تعقيدا، بحيث يتحول من الشكل الأول إلى الشكل النهائي عبر مروره – كما يرى ميكائيل ريفاتير – بالقارئ النموذجي وردود أفعاله التي توجه الباحث الأسلوبي إلى مفاتيح النص.

هذه الانفعالات والردود التي تتضافر مع لغة النص داخل سياق تعبيري أهم ما فيه هي تلك السمات اللسانية المقطوعة بعناصر غير متوقعة، فتكون عناصر مفاجئة تحدث دهشة لدى المتلقي مما تجعل منها مفاتيح مهمة لقراءة النص قراءة أعمق.

ولكن هذا المنظور للتضافر يبدو قاصرا إذا لم يضف إليه منظور ثان قائم على مبدئي التداخل والتراكب، تداخل أجزاء من السياقات اللغوية النصية مع بعض أجزاء السياقات الأخرى، مما يؤدي

إلى خلق سياق جديد مرتبط بالسياقين السابقين ومختلف عنهما في آن واحد.

وهذا السياق الجديد أسماه عبد السلام المسدي بالسياق الطارئ، ومثل هذه السياقات لا نهائية في النص وتحديدها يعود إلى القارئ، وأهميتها تكمن في جعل النص مفتوحا لانهائي الدلالة. وهذا التناظر النصي للبنى ودلالاتها لا يتحقق إلاّ بوجود قارئ وسياق أكبر وسياقات صغرى متداخلة.

أما التراكب فيقوم على تحديد كتل نصية تتقابل بعضها مع بعض وفق تناظر وتآلف، بحيث يؤدي اكتشاف الأولى إلى اكتشاف الثانية، ويكون فهم الأولى متعلقا بفهم الثانية.

وإذا كانت ردود فعل القارئ أو حتى السياق المقطوع بعناصر غير متوقعة عند ميكائيل ريفاتير تبدو عملية غير واعية، فإن تحديد التداخل والتراكب يخضع لعملية واعية تماما عند عبد السلام المسدي. وأهمية التضافر الأسلوبي تنطلق من الجمع بين الوعي واللاوعي في العملية النقدية، والجمع بين الكل والجزء في النص، وبين القارئ والناقد، وبين القارئ والنص.

الإحالات

1- مراد عبد الرحمن مبروك : من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء، الإسكندرية – مصر، ط1، 2002، ص11
2- عبد السلام المسدي : الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، مارس 2004، ص 16.
3- م، ن، ص 15.
4- ميكائيل ريفاتير : معايير التحليل الأسلوبي، تر: حميد لحميداني، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب،ط1، مارس 1993، ص 60.
5- عبد السلام المسدي : النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان، ط1، 1983. ص 78
6- ميكائيل ريفاتير : المصدر السابق، ص 42.
7- م، ن، ص، ن.
8 - م، ن، ص، ن.
9 - ينظر : م، ن، ص 08.
10 - م، ن، ص 56.
11 - ميكائيل ريفاتير : معايير التحليل الأسلوبي، ص 57.
12 - م، ن، ص، ن.
13 - م، ن، ص، ن.
14 - ينظر : م، ن، ص 10.
15- عبد السلام المسدي : المصدر السابق، ص 78.
16- عبد السلام المسدي : المصدر السابق، ص 78.
17 - ميكائيل ريفاتير : المصدر السابق، ص 56.
18- م، ن، ص 62.
19- ميكائيل ريفاتير : المصدر السابق، ص 63.
20- مراد عبد الرحمن مبروك : المرجع السابق، ص 70.
21- يوزف شتريلكا : (الأسلوب الأدبي من كتاب مناهج في الأدب). تر:مصطفى ماهر.مجلة فصول.___مج5،عدد1، أكتوبر/نوفمبر/ديسمبر 1984، ص 74
22- عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 179
23- مراد عبد الرحمن مبروك : من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، ص 114
24- م، ن، ص 73.
25- م، ن، ص، ن.
26- عبد السلام المسدي : النقد والحداثة، ص 75.
27- عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، ص 210.
28 - عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا ط3.، (د.ت)، ص170.

29- محمد شكري عياد : اللغة والإبداع، مباديء علم الأسلوب العربي، أنترناشيونال برس، القاهرة مصر، ط1، 1988، ص 66.
30- صلاح فضل : إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، (د،ت)، ص57
31- صلاح فضل : علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق، بيروت - لبنان، ط 1، 1985 ص260.